الجامعة المستنصرية – كلية الآداب

قسم اللغة العربية / المرحلة الثانية

د. عباس رحيم عزيز

مادة الأدب الجاهلي

المحاضرة الثامنة

أصحاب المعلقات

امرؤ القيس: -

هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، أشهر شعراء العرب الجاهلية، قد اختلطت أخباره بالكثير من الأساطير، وبخاصة ما اتصل منها بنشأته، وما رافقها من أحداث، وما طرأ عليها من تبدلات.

امرؤ القيس ابن آخر ملوك كندة تلك القبيلة اليمانية التي أسست أول وآخر مملكة حكمت القبائل العربية قبل الإسلام، وابن أخت المهلهل، الفارس والشاعر الذي اقترن ذكره مع حرب البسوس تقدم المصادر صورة فيها مبالغة عن نشأته الأولى، إذ تركز على انصرافه على اللهو والعبث الذي كان سبب لتوتر العلاقة بينه وبين أبيه، مما أدى في النهاية إلى طرده، فغادر قومه ودياره يستمتع بالشرب واللهو، حتى جاء من يخبره أن بني أسد خلعوا ثوب الطاعة على أبيه وقتلوه، فقال قوله المشهور: (ضيعني أبي صغيرا، وحملني دمه كبيرا فاليوم خمر، وغدا امر).

ولا يختلف اثنان على أن امرؤ القيس واحدا من جيل الشعراء الرواد الذي ارتبط بذكرهم تاريخ تدوين الشعر الجاهلي، وتأسيس تقاليده الفنية، فقد سبق الشعراء إلى صور ابتدعها واتبعوه عليها كالمقدمة الطللية التي كانت احدى ابتكاراته، إذ وقف واستوقف، وبكى وأبكى من معه وذكر الحبيب والمنزل الذي يقول فيها:

**قِـفَـا نَـبْـكِ مِـنْ ذِكْـرَى حَـبِـيبٍ ومَنْــزِلِ بِسِـقْطِ اللِّـوَى بَيــْنَ الدَّخُـول فَحَـوْمَلِ**

**فَـتُـوْضِـحَ فَــالمِـقْـراةِ لـمْ يَـعْـفُ رَسْمُها لِـمَـا نَـسَـجَـتْـهَـا مِـنْ جَـنُـوبٍ وشَمْـألِ**

**تَـرَى بَــعَــرَ الأرْآمِ فِــي عَــرَصَـاتِـهَــا وَقِـيْــعَــانِــهَــا كَــأنَّــهُ حَــبُّ فُــلْــفُــلِ**

**كَـــأنِّــي غَــدَاةَ الـبَــيْـنِ يَــوْمَ تَـحَـمَّـلُـوا لَـدَى سَـمُــرَاتِ الـحَـيِّ نَـاقِـفُ حَنْـظَلِ**

**وُقُـــوْفـاً بِـهَـا صَـحْـبِـي عَـلَّي مَـطِـيَّـهُـمُ يَــقُـوْلُـوْنَ:لاَ تَــهْـلِـكْ أَسَـىً وَتَـجَــمَّـلِ**

**وإِنَّ شِــــفــائِــي عَـــبْـــرَةٌ مُـــهْــرَاقَـــةٌ فَــهَـلْ عِـنْدَ رَسْــمٍ دَارِسٍ مِـنْ مُعَوَّلِ؟**

يستغرق ستة أبيات يصف فيها ديار أحبته - بعد أن يحدد مواضعا (الدخول – حومل – سقط اللوى) وما أصابها من خراب ودمار بعد رحيلهم منها، لتصير مرتعا آمنا للظباء، ثم يصف ما أصابه من مشاعر الحزن والألم وهو يستعرض هذ الديار.

وقد عني الدارسون – قديما وحديثا – بشعره عناية كبيرة، وبخاصة معلقته التي عدت ممثلة لشعره كله لتضمنها موضوعات الشعر العربي القديم. وهي تنقسم إلى خمس لوحات أولها الطللية التي ذكرناها، لينتقل بعدها إلى اللوحة الثانية لوحة الغزل، ذلك الموضوع الذي احتل حيز كبير من شعره، وتميز بكثرة النساء اللواتي تغزل بهن، ففي هذه اللوحة مثلا ذكر لعدد من النساء كأم.................

**كَــدَأْبِــكَ مِــنْ أُمِّ الـحُـوَيْـرِثِ قَــبْـلَهَا وَجَـــارَتِــهَــا أُمِّ الــرَّبَــابِ بِــمَــأْسَــلِ**

**إِذَا قَـامَـتَا تَـضَـوَّعَ الـمِــسْـكُ مِـنْـهُـمَا نَـسِـيْـمَ الصَّـبَا جَـاءَتْ بِـرَيَّـا القَـرَنْفُلِ**

**فَفَـاضَـتْ دُمُـوْعُ الـعَـيْـنِ مِنِّي صَبَابَةً عَلَـى النَّـحْرِ حَتَّى بَـلَّ دَمْعِـي مِحْـمَلِـي**

**ألاَ رُبَّ يَــوْمٍ لَــكَ مِــنْــهُــنَّ صَــالِــحٍ وَلاَ سِـــيَّــمَــا يَــوْمٌ بِــدَارَةِ جُــلْــجُــلِ**

**ويَـوْمَ عَـقَــرْتُ لِــلْـعَــذَارَي مَـطِـيَّـتِي فَـيَـا عَـجَـبـاً مِـنْ كـورهـا الـمُـتَـحَـمَّلِ**

**فَـظَـلَّ الـعَـذَارَى يَـرْتَـمِـيْـنَ بِـلَحْـمِـهَا وشَـحْـمٍ كَـهُــدَّابِ الـدِّمَـقْـسِ الـمُـفَـتَّـلِ**

**ويَـوْمَ دَخَـلْـتُ الـخِـدْرَ خِـدْرَ عُـنَـيْـزَةٍ فَـقَالَـتْ:لَكَ الـوَيْـلاَتُ!،إنَّـكَ مُـرْجِـلِـي**

**تَـقُـولُ وقَـدْ مَـالَ الـغَـبِـيْـطُ بِـنَـا مَعاً: عَقَـرْتَ بَعِـيْرِي يَا امْرأَ القَيْسِ فَانْـزِلِ**

**فَـقُـلْـتُ لَـهَـا:سِـيْرِي وأَرْخِي زِمَامَـه ولاَ تُـبْـعـدِيْـنِـي مِـنْ جَـنَـاكِ الـمُـعَـلَّـلِ**

**فَـمِـثْـلِـكِ حُـبْـلَـى قَـدْ طَرَقْتُ ومُرْضِعٍ فَـأَلْـهَـيْـتُـهَـا عَـنْ ذِي تَـمَـائِـمَ مُـحْــوِلِ**

**إِذَا مَـا بَـكَـى مِنْ خَلْـفِهَا انْصَرَفَتْ لَهُ بِـشَـقٍّ،وتَـحْـتِـي شِـقُّـهَـا لَــمْ يُـحَـــوَّلِ**

**ويَـوْمـاً عَـلَـى ظَـهْـرِ الكَثِـيْبِ تَعَذَّرَتْ عَـلَـيَّ، وَآلَــتْ حَــلْــفَــةً لــم تَــحَـلَّــلِ**

**أفـاطِــمَ مَــهْــلاً بَـعْــضَ هَــذَا التَّـدَلُّلِ وإِنْ كُنْتِ قَدْ أزمعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي**

**وَإنْ تــكُ قــد ســاءتــكِ مــني خَليقَـةٌ فـسُـلّـي ثـيـابـي مـن ثـيـابِـكِ تَـنْـسُــلِ**

**أغَـــرَّكِ مِــنِّـي أنَّ حُــبَّــكِ قَـــاتِــلِــي وأنَّـكِ مَـهْـمَـا تَـأْمُـرِي الـقَـلْبَ يَفْعَـلِ؟**

**وَمَـا ذَرَفَـتْ عَـيْـنَـاكِ إلاَّ لِـتَـضْـرِبِــي بِـسَـهْـمَـيْـكِ فِـي أعْـشَـارِ قَـلْـبٍ مُـقَتَّلِ**

**وبَــيْـضَـةِ خِــدْرٍ لاَ يُــرَامُ خِــبَـاؤُهَــا تَـمَـتَّـعْـتُ مِـنْ لَـهْـوٍ بِـهَـا غَـيْرَ مُعْجَلِ**

**تَـجَـاوَزْتُ أحْـرَاسـاً إِلَـيْـهَـا وَمَـعْشَراً عَـلَّـي حِـرَاصـاً لَـوْ يُـسِـرُّوْنَ مَـقْـتَـلِي**

**إِذَا مَـا الـثُّـرَيَّـا فِـي السَّـمَاءِ تَعَرَّضَتْ تَـعَـرُّضَ أَثْـنَـاءَ الـوِشَـاحِ الـمُـفَــصَّـلِ**

**فَـجِـئْـتُ وَقَـدْ نَـضَّـتْ لِـنَـوْمٍ ثِـيَـابَـهَــا لَـدَى الـسِّـتْـرِ إلاَّ لِـبْـسَـةَ الــمُـتَـفَـضِّلِ**

**لَـدَى الـسِّـتْـرِ إلاَّ لِـبْـسَـةَ الــمُـتَـفَـضِّلِ فَـقَـالـتْ: يَـمِـيْـنَ اللهِ، مَـا لَـكَ حِـيْـلَةٌ،**

**وَمَـا إِنْ أَرَى عَـنْـكَ الـغَـوَايَـةَ تَـنْـجَلِي خَـرَجْـتُ بِـهَـا تمْـشِـي تَـجُـرُّ وَرَاءَنَـا**

**عَـلَــى أَثَـرَيْــنـا ذيـل مِــرْطٍ مُــرَحَّــلِ فَـلَمـَّا أجَـزْنَـا سَـاحَـةَ الـحَـيِّ وانْتَحَى**

**بِـنَـا بَـطْـنُ خَـبـْتٍ ذِي حِقَـافٍ عَقَـنْقَـلِ هَـصَـرْتُ بِفَـوْدَيْ رَأْسِـهَـا فَـتَـمَـايَـلَـتْ**

**هَـصَـرْتُ بِفَـوْدَيْ رَأْسِـهَـا فَـتَـمَـايَـلَـتْ عَـلـيَّ هَـضِـيْـمَ الـكَـشْـحِ رَيَّا المُخَلْخَـلِ**

**إذا التـفتـت نحـوي تضــوّع ريـحُـهــا نـسـيـمَ الـصَّـبـا جـاءت بـريـا القرنفُلِ**

**مُـهَـفْـهَـفَـةٌ بَـيْـضَـاءُ غَـيْـرُ مُـفَـاضَـــةٍ تَـرَائِـبُـهَـا مَـصْـقُـولَـةٌ كَـالـسَّـجَـنْـجَــلِ**

**كَـبِـكْـرِ الـمُـقَـانَـاةِ الـبَـيَـاضَ بِـصُـفْرَةٍ غَـذَاهَــا نَـمِـيْـرُ الـمَـاءِ غَـيْـرُ مُـحَـلَّــلِ**

**تَـصُـدُّ وتُـبْـدِي عَــنْ أسِـيْـلٍ وَتَـتَّــقــي بِـنَـاظِـرَةٍ مِـنْ وَحْـشِ وَجْــرَةَ مُـطْـفِـلِ**

**وجِـيْـدٍ كَـجِـيْـدِ الـرِّيـمِ لَـيْـسَ بِـفَـاحِـشٍ إِذَا هِـــيَ نَــصَّـــتْــهُ وَلاَ بِــمُــعَــطَّــلِ**

**وفَـرْعٍ يَـزِيْـنُ الـمَــتْـنَ أسْـوَدَ فَــاحِــمٍ أثِــيْــثٍ كَــقِــنْــوِ الـنَّــخْـلَـةِ المُتَـعَـثْكِلِ**

**غَـدَاثِــرُهُ مُـسْـتَـشْـزِرَاتٌ إلَــى الـعُـلا تَـضِـلُّ الـعِـقَـاصُ فِـي مُثَـنَّى وَمُرْسَـلِ**

**وكَـشْــحٍ لَـطِـيـفٍ كَـالـجَـدِيْـلِ مُخَـصَّرٍ وسَــاقٍ كَـأُنْــبُــوبِ الـسَّـقِـيِّ الـمُـذَلَّــلِ**

**وتَـعْـطُـو بِـرَخْـصٍ غَـيْـرَ شَـثْـنٍ كَـأَنَّهُ أَسَـارِيْـعُ ظَـبْـيٍ أَوْ مَـسَـاويْـكُ إِسْـحِلِ**

**تُــضِــيءُ الــظَّــلامَ بِـالـعِـشَـاءِ كَـأَنَّـهَا مَـنَـارَةُ مُــمْــسَـى رَاهِــبٍ مُــتَــبَــتِّــلِ**

**وَتُضْـحِي فَتِـيْتُ المِسْكِ فَـوْقَ فِراشِـهَا نَـؤُومُ الضَّـحَى لَمْ تَنْتَــطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ**

ويصور في معلقته كيف يقتحم الليل المخيف مصورا سواده وهمومه:

**ولَـيْـلٍ كَـمَـوْجِ الـبَـحْـرِ أَرْخَـى سُـدُوْلَــهُ عَــلَـيَّ بِـأَنْـوَاعِ الـهُــمُــوْمِ لِــيَــبْــتَــلِـي**

**فَــقُــلْــتُ لَـهُ لَـمَّـا تَـمَــطَّــى بِـصُــلْــبِـهِ وأَرْدَفَ أَعْــجَــازاً وَنَـــاءَ بِــكَــلْـــكَــلِ**

**ألاَ أَيُّـهَـا الـلَّـيْـلُ الـطَّـوِيْــلُ ألاَ انْـجَـلِــي بِـصُـبْـحٍ، وَمَــا الإصْـبَـاحُ مـنِـكَ بِأَمْثَلِ**

**فَــيَــا لَــكَ مَـنْ لَــيْــلٍ كَــأنَّ نُــجُــومَــهُ بــكــل مُــغــار الـفــتـل شُــدّت بـيـذبل**

ويصور الليل بهمومه وسواده كأنه أمواج لا تنتهي، ويشعر بأنه طال وأسرف في الطول حتى ليظن كأن نجومه شدت بأمراس من الجنادل والجبال فهي لا تتحرك ولا تزول، كأنها سمرت في مكانها، فهي لا تجري ولا تتحرك، وقد ردد الشعراء بعده هذا المعنى كثيرا. ثم ينتقل إلى وصف فرسه وصيده ولذاته فيه، وكأنه يريد أن يضع بين يدي صاحبته فروسيته ومهارته في ركوب الخيل وشجاعته في اصطياد الوحوش إذ يقول:

**كَـمَـيْـتٍ يَـزِلُّ الـلَّـبْـدُ عَـنْ حَـالِ مَـتْـنِـهِ كَــمَـا زَلَّــتِ الـصَّـفْــوَاءُ بِـالــمُـتَـنَـزَّلِ**

**عَـلَـى الـذبل جَـيَّـاشٍ كــأنَّ اهْـتِــزَامَـهُ إِذَا جَـاشَ فِـيْــهِ حَـمْـيُـهُ غَـلْيُ مِـرْجَلِ**

**مِـسِـحٍّ إِذَا مَـا الـسَّـابِحَاتُ عَـلَى الوَنى أَثَــرْنَ الـغُــبَــارَ بِـالـكَــدِيْــدِ الـمَــرَكَّلِ**

**لَــهُ أيْـطَــلا ظَــبْـيٍ، وَسَـاقَــا نَـعَــامَـةٍ وإِرْخَــاءُ سَـرْحَــانٍ، وَتَـقْـرِيْـبُ تَـتْـفُلِ**

**كَــأَنَّ عَــلَى الكـتـفـيـن مِنْهُ إِذَا انْتَـحَى مَــدَاكُ عَــرُوسٍ أَوْ صَـلايَــةَ حَــنْـظَلِ**

**فَــعَــنَّ لَــنَــا سِــرْبٌ كَـــأَنَّ نِــعَــاجَــهُ عَـــذَارَى دَوَارٍ فِـــي مُـــلاءٍ مُـــذيَـــل**

وهو وصف رائع لفرسه الأشقر، فقد صور سرعته تصوير بديعا، فجعله قيدا لأوابد الوحش إذا انطلقت في الصحراء، فأنها لا تستطيع إفلاتا منه كأنه قيد يأخذ بأرجلها، وكأنه جلمود صخر يهوي به السيل من ذروة جبل عالي.

امرؤ القيس يعد أبا للشعر الجاهلي. فقد استوى عنده في صورة رائعة، سواء سبقه إلى فنون أجاد فيها، أو من حيث قدرتها على الوصف والتشبيه، وقد مضى يعنى بأخيلته ومعانيه وألفاظه.